بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: ٩٨ **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ: ٠٥/ ٢٠٢٤/١١م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

وصل الكلام إلى الآية السابعة والعشرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾ صدق الله العلي العظيم

الربط السياقي: ما زال الحديث في هذه الآية ضمن سياق المقطع الواحد، وليس ابتداء لمقطع جديد، لازلنا نتكلم في السياق نفسه. وهو المقطع الذي بدأ من الآية الثالثة والعشرين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦) إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾

المشار إليه في قوله ﴿هؤُلاءِ﴾ هم الآثم والكفور الذي نهي رسول الله ﷺ أن يطيعهما، لماذا لا تطع هؤلاء؟ لأن هؤلاء لم ينشأ كفرهم وإثمهم من برهان لديهم، تارة الإنسان يخالف النبي ﷺ ويكفر بما جاء به ويعاديه ويحاربه لكن عنده برهان واقتنع بهذا البرهان، وتارة الإنسان يكفر بما جاء به النبي ﷺ ويعاديه ويحاربه لا لأجل برهان، بل لأنهم يحبون العاجلة، هؤلاء من أشنع الفئات في المجتمع، أي لا لقناعة يتخذون موقفاً، وإنما الذي يحركهم في مواقفهم وحركاتهم وسكونهم هو الغرائز وحب الدنيا. فما زال الكلام ضمن سياق واحد.

وإذا أردنا أن نلخص هذه الآيات بتلخيص يستفاد من القرآن الكريم ذاته، هذا الرسول العظيم ﷺ الذي كلف بهذه العظيمة يحتاج إلى ركيزتين يستعين بهما في أداء مهمته:

الركيزة الأولى: الصبر.

الركيزة الثانية: الصلاة.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ ثم بعد ذلك بدأ يقول ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ الذي قلنا تشير إلى الصلاة المستحبة والواجبة. فكأنه قال له: استعن بالصبر والصلاة.

هذا في الواقع هذه حقيقة قرآنية تكررت في أكثر من آية من القرآن الكريم ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخاشِعِين﴾[1] وفي آية أخرى ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِين﴾[2].

وفي كثير من الروايات أن أمير المؤمنين عليه السلام إذا أهمه أمر قام وصلى وقرأ قوله تبارك وتعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ لأن الصبر هو القدرة الداخلية في الإنسان التي تجعله قادراً على تحمل المصاعب، والصلاة هي الصلة بين العبد وبين القوى العظمى في الوجود التي تؤثر فيه.

لكن هذا هذه القوى العظمى في الوجود حتى تفيض على العبد لابد من وصلة بين العبد وبين هذه القوى العظمى، وهذه الوصلة هي الصلاة ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾.

فخلاصة هذه الآيات: أن الله تبارك وتعالى يطلب من نبيه في مقام تحقيق والعمل بوظيفته أن يستعين بالصبر والصلاة ليجابه الذين يصدون عن طريق الحق، ليجابه الآثم والكفور، ولا يطيع هؤلاء؛ لأن هؤلاء ليسوا على طريق الحق، ولم يتخذوا هذا الموقف في عدائك لبرهان قام عندهم، وإنما الذي يحركهم هو غرائزهم الشهوانية والحيوانية.

فلذا جاءت هذه الآية لتقول: ﴿إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ﴾.

فإذاً في البحث السياقي ما زلنا في إطار واحد مترابط متماسك.

أما ما يرتبط بتفسير مفردات هذه الآية:

---

[1] البقرة: ٤٥
[2] البقرة: ١٣٥

أُطلق في هذه الآية المباركة على الدنيا اسم ﴿الْعاجِلَةَ﴾، وهذه ليست أول مرة في القرآن الكريم، وفي سورة القيامة ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ﴾[٣] وفي سورة الإسراء ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾[٤].

فالقرآن الكريم في أكثر من آية أطلق على هذه الدنيا اسم العاجلة، فما هو وجه التسمية؟

الآخرة تسمى بالآجلة، والدنيا تسمى بالعاجلة؛ باعتبار أن نعيم الدنيا حال معجل، ونعيم الآخرة نسيئة ومؤجل، فاطلق على الدنيا العاجلة وعلى الآخرة الآجلة.

أو قد يقال باعتبار أن الإنسان يحصّل في الدنيا ما يستعجله وما يريده حالاً وما يرغب في تحققه في الآن، فكانت الدنيا محلاً لما يستعجله الإنسان، فسميت بالعاجلة.

وفي بعض الروايات -أيضاً- استعمل ما يدل على ذلك، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (الْكَافِرُ الدُّنْيَا جَنَّتُهُ وَالْعَاجِلَةُ هِمَّتُهُ)[٥] أي كل سعيه ونشاطه ورغبته وإرادته أن يحصل شيئاً حالاً في هذه الدنيا، فهمته الأمر المعجل لا الأمر المؤجل الذي يكون دار القرار وفي دار الاستقرار.

العاقل ينبغي عليه طلب الآخرة، فإذا كان هو في هذه الدنيا طيف يمرّ ويزول، فلماذا يرغب في هذه الأمور؟ لابد أن يبني لدار الاستقرار، في الخبر كَانَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام صَدِيقٌ وَكَانَ مَاجِناً فَتَبَاطَأَ عَلَيْهِ أَيَّاماً، فَجَاءَهُ يَوْماً فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ عليه السلام كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ فَقَالَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَصْبَحْتُ بِخِلَافِ مَا أُحِبُّ وَيُحِبُّ اللَّهُ وَيُحِبُّ الشَّيْطَانُ. فَضَحِكَ الْحَسَنُ عليه السلام ثُمَّ قَالَ وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ أُطِيعَهُ وَلَا أَعْصِيَهُ وَلَسْتُ كَذَلِكَ، وَالشَّيْطَانُ يُحِبُّ أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ وَلَا أُطِيعَهُ وَلَسْتُ كَذَلِكَ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ لَا أَمُوتَ وَلَسْتُ كَذَلِكَ. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا بَالُنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ وَلَا نُحِبُّهُ؟ قَالَ: فَقَالَ الْحَسَنُ عليه السلام **لِأَنَّكُمْ أَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ وَعَمَّرْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ النُّقْلَةَ مِنَ الْعُمْرَانِ إِلَى الْخَرَابِ**)[٦]. فالعاقل يكره أن ينتقل من عمران إلى خراب، عمّرنا وعجّلنا في تعمير ما هو زائل، أما ما هو باق ومستمر خربناه. هذه هي حقيقة وهذه قصة رحلتنا في هذه الدنيا.

---

[٣] القيامة: ٢٠
[٤] الإسراء: ١٨
[٥] غرر الحكم ودرر الكلم، ص: ١٠٧
[٦] معاني الأخبار، النص، ص: ٣٨٩

وفي خبر آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال (إِنَّ مَنْ كَانَتِ الْعَاجِلَةُ أَمْلَكَ بِهِ مِنَ الْآجِلَةِ، وَأُمُورُ الدُّنْيَا أَغْلَبَ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ، فَقَدْ بَاعَ الْبَاقِيَ بِالْفَانِي وَتَعَوَّضَ الْبَائِدَ عَنِ الْخَالِدِ وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ وَرَضِيَ لَهَا بِالْحَائِلِ الزَّائِلِ وَنَكَبَ بِهَا عَنْ نَهْجِ السَّبِيلِ)[٧]. أي الذي يأخذ بناصيتي هو الشيء المعجل، الذي يملكني هو الشيء المعجل، ففي الخبر (ليس الزهد أن لا تملك شيئاً، بل الزهد أن لا يملكك شيء)[٨] الإنسان – في كثير من الأحيان– الذي يدعي أنه حرّ هو مملوك وعبد، لكنه عبد لغرائزه وعبد لشهواته.

هذه بالنسبة لمفردة العاجلة التي هي من أسماء في الدنيا.

ثم تقول الآية: ﴿وَرَاءَهُمْ﴾ توقف علماء التفسير عند هذه الكلمة، ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلا﴾ واليوم الثقيل هو يوم القيامة، يوم القيامة بلحاظ الزمان هو أمامنا لا وراءنا.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[٩] أي كان أمامهم ملك لا وراءهم.

هذا التعبير تكرر في القرآن الكريم، فتوقف علماء التفسير عند كلمة وراء، فتعددت الأقوال في ذلك.

---

[٧] غرر الحكم ودرر الكلم، ص: ٢٣٩
[٨] ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٢٩٩٠
[٩] الكهف: ٧٩